الملاحظة

مفهومها:

تعتبر الملاحظة واحدة من الطرق الأولية التي استخدمها الانسان في التعرف على محيطه. وطريقة أساسية في البحث والاستكشاف أكثر من غيرها. إذ أنّها توفر للباحث الفرصة لجمع المعلومات أثناء تشكلها في العالم الواقعي. كما تتيح له الفرصة إذا هو رغب في ذلك، ليكون جزءا من المشهد الذي تجري فيه العمليات الاجتماعية.

تعرف الملاحظة في تقاليد البحث الاجتماعي على أنّها بالدرجة الأولى تقنية لجمع البيانات في البحوث الكيفية. لكن الحقيقة أن الملاحظة يمكن أن تخدم كثيرا تصميمات البحث الكمي.

تعرف الملاحظة بشكل عام وبسيط، على أنّها طريقة منهجية في جمع البيانات بواسطة الحواس التي يتمتع بها الانسان. أو هي فعل يراقب من خلاله الباحث الظواهر الاجتماعية في العالم الواقعي، ويسجل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التي تحدث بها.

كي تكون الملاحظة حقيقة فعلا منهجيا هادفا وواعيا من قبل الباحث، ينبغي أن يطرح هذا الأخير سؤالا في غاية الأهمية وهو: ما الذي يجب أن ألاحظه؟ والإجابة على هذا السؤال هي ايدان ببدء عملية بناء ما يعرف بشبكة الملاحظة. أي تصميم عناصر خطة الملاحظة. وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال الاسترشاد بسؤال البحث وأهدافه وفرضياته.

أنواع الملاحظة:

تقسم الملاحظة باعتبارها تقنية جمع للمعطيات الميدانية إلى قسمين أساسيين:

الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة.

الملاحظة المشاركة: نشأ هذا النوع من الملاحظة على يد الباحثين في حقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية، واستخدمت بشكل مكثف من قبل المشتغلين بالدراسات والبحوث الاثنوجرافية، باعتبارها تقنية مناسبة إذا تعلق الأمر بمحاولة التعرف عن قرب وبشكل معمق على ثقافة ونظام حياة ونمط عيش مجموعات اجتماعية مميزة. ومحاولة فهم ممارساتها.

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لاختيار الملاحظة المشاركة:

1/ لأنّ الباحث لا يريد فرض واقعه الاجتماعي وتفسيراته الاجتماعية الخاصة به على العالم الاجتماعي الذي يقوم بدراسته ومحاولة فهمه.

2/ لأن الباحث يرغب دوما في الوصول على مناطق وجماعات ومنظمات اجتماعية يصعب عادة دراستها.

3/ عندا يحاول فهم وتفسير بعض الممارسات بعينها، سواء كانت هذه الممارسات ثقافية أو ممارسات عملية. وكيف نشأت هذه الممارسات وكيف تتغير بمرور الزمن؟

وضمن الملاحظة المشاركة نجد أربع أساليب، هي: أسلوب المشاركة الكامل أو الخالص، أسلوب المشارك كملاحظ، أسلوب الملاحظ كمشارك، وأسلوب الملاحظ الكامل أو الخالص.[1]

الملاحظة البسيطة: أهم ما يميز الملاحظة البسيطة هو أنّ الباحث لا يكون جزءا من العملية التي يجري بحثها كما كان عليه في الملاحظة المشاركة. تمكن الملاحظة البسيطة من جمع البيانات الأولية الأصيلة أثناء حدوثها في الواقع. وتتوقف

[1] بوب ماتيوس ليزاروس، مرجع سبق ذكره

نجاعة الملاحظة البسيطة في جمع البيانات على مدى دقة ووضوح عناصر التعريفات الإجرائية التي صيغت من قبل الباحث بغرض تحديد عناصر الوقائع المقرر ملاحظتها.

من حيث طبيعة البيانات التي نحصل عليها من خلال تقنية الملاحظة مهما كانت، فإنها تتوزع على الأشكال المقننة وشبه المقننة وغير المقننة. بمعنى أنها حتى وأن كانت في اغلبها بيانات كيفية، إلاّ أن بعضها سيكون كميا. وهذا ما يجعل من التحليل قائم على الإتجاه الكيفي والكمي معا أو لنقل الأسلوب المختلط في التحليل.

ملاحظة: مهما كانت الطريقة أو التقنية التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات حول موضوع البحث، ينبغي أن يراعي أمرين في غاية الأهمية:

الأمر الأول: من الضروري أن يحرص الباحث أثناء عملية بناء التقنية التي سيعتمدها في جمع البيانات، أي اثناء إدراج الأسئلة وصياغتها، على أن تكون الأسئلة على علاقة مباشرة بالمتغيرات التي ضبطها ضمن الفرضيات الإجرائية.

الأمر الثاني: ينبغي على الباحث القيام بتجريب واختبار التقنية التي قرر استخدامها، من خلال طرح الأسئلة المتضمنة فيها على مجموعة من الأفراد يفترض أنهم يتمتعون إلى حدّ ما بنفس خصائص أفراد العينة. وهذا بغرض قياس فعالية ونجاعة التقنية في ذاتها، والأهم أنه يتمكن من معرفة مدى دقة ووضوح الأسئلة. وليجعلها فرصة لتسجيل الملاحظات بشأن النقاط التي يجب ان يركز عليها أكثر في العمل، والخطاء التي ينبغي عليه تجنبها.